مقابلة

د. محجوب الزويري:

العلاقات العربية-التركية تشهد عودة قوية بعد فترة انقطاع حضاري وسياسي

عبد النور تومي

تركيا ذات ثقل سياسي واقتصادي مهم، فضلاً عن شراكتها الحضارية مع العرب منذ مئات السنين، نستطيع القول بأنه منذ العهد العباسي والأتراك حاضرون في المشهد السياسي العربي الإسلامي بشتى الصور، والدولة العثمانية مثال على ذلك، وهي شهدت تفاعل عربي-عثماني-تركي منذ القرن السادس عشر الميلادي، استمر أربعة قرون من عمر الإمبراطورية العثمانية الذي كان سبعة قرون.

أورسام: تشهد العلاقات التركية-العربية في الأعوام الأخيرة تحولًا نوعياً، مما دفع إلى تقارب واضح بين أنقرة وعواصم عربية، خليجية ومغاربية، وذلك بعد عقود من القطيعة الحضارية التي أعقبت سقوط الخلافة العثمانية، ما هي قرائتكم؟

د. محجوب الزويري: العلاقات العربية-التركية انطلقت مؤخراً بعد نوع من الانقطاع الحضاري والسياسي، وهذا مرتبط في إعتقادي بجملة من العوامل: العامل الأول يعود إلى ما حدث في الثمانينات من قيام الثورة الإسلامية في إيران

من هو محجوب الزويري؟

أجرى د. عبد النور تومي الخبير في مركز أورسام مقابلة مع الدكتور محجوب الزويري أستاذ دراسات الشرق الأوسط المعاصر ومدير مركز دراسات الخليج بجامعة قطر. الدكتور الزويري سبق وأن عمل مديراً لمركز الدراسات الايرانية في معهد الدراسات الإسلامية والشرق الأوسطية بجامعة درم ببريطانيا، وكذلك مديراً لوحدة الدراسات الايرانية في مركز الدراسات الاستراتيجية بالجامعة الأردنية. للدكتور الزويري العديد من الكتب والنتاجات البحثية في شؤون الشرق الأوسط.

وحصول ديناميكية جديدة في المنطقة، طبعا في الثمانينات كان هناك إنقلاب في تركيا أيضاً، لكن ذلك الانقلاب كان يهدف إلى ترسيخ ارتباط تركيا بالغرب، التغير الحقيقي حصل في عقد التسعينيات بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي وتغير النظام العالمي وطبيعة العلاقات الدولية، وكذلك تغير النظام الإقليمي، هنالك أزمات حصلت في المنطقة: الحرب العراقية-الإيرانية، الاجتياح العراقي للكويت، ظهور معضلة البرنامج النووي الايراني، إلى غير ذلك، كلها كانت عوامل إقليمية ودولية جديدة. إضافة إلى ذلك هناك عوامل داخلية تتعلق بتركيا، فالتغيير الذي حصل في العملية السياسية في تركيا، ومجيئ حزب العدالة والتنمية إلى السلطة ومساعيه لزيادة التقارب مع الجوار العربي بصفته مرتبط مع تركيا بعدة مشتركات، أهمها الهوية الإسلامية، التي كانت عامل أساس في عودة هذا التقارب من بوابة البعد الحضاري والتاريخي والثقافي، لكن أيضاً لا يمكن تجاهل البعد السياسي والاقتصادي، فتركيا ذات ثقل سياسي واقتصادي مهم، فضلاً عن شراكتها الحضارية مع العرب منذ مئات السنين، نستطيع القول بأنه منذ العهد العباسي والأتراك حاضرون في المشهد السياسي العربي الإسلامي بشتى الصور، والدولة العثمانية مثال على ذلك، وهي شهدت تفاعل عربي-عثماني-تركي منذ القرن السادس عشر الميلادي، استمر أربعة قرون من عمر الإمبراطورية العثمانية الذي كان سبعة قرون.

أورسام: ما هو دور النخب في توطيد العلاقات التركية-العربية المعاصرة؟

د. محجوب الزويري: للنخب دور أساس في التواصل العربي-التركي سواء كانت النخب السياسية ذات الطابع الرسمي، أو النخب السياسية المثقفة، سواء كانوا أكاديميين أو كتّاب ومفكرين، إلى غير ذلك. لا شك

أن محاولة التواصل بين العرب وتركيا يساعد كثيراً في تجاوز بعض نقاط الخلاف أو الإختلاف المتراكمة من الفترات التاريخية السابقة، والبناء على المشتركات الكبيرة بين الأتراك وبين العرب. من المهم في هذا السياق التأكيد على أنه النخب كلما مارست دورها في شؤون العلاقات العربية-التركية بنوع الاستقلالية عن الحكومات والصراعات السياسية، كلما كان دورها إيجابياً، وكلما أقتربت من الحكومات كلما تأثرت بآراء الحكومات والخصومات السياسية، فإذا حصلت خصومات بين تركيا وحكومة عربية معينة، تتأثر النخب بتلك الخلافات، من المفروض أن تعمل النخبة بجد، وبنوع من الإستقلالية، وأن تعمل بطريقة إيجابية على تطوير العلاقات العربية التركية.

أن العامل الثقافي مهم جداً في إطار العلاقات بين تركيا والعالم العربي، كذلك العامل التاريخي والعامل الديني مهمان أيضاً. هنالك نقاط يمكن البناء عليها بشكل كبير جداً لتطوير العلاقات، خاصة أنه المنطقة العربية تشهد تنافس كبير بين لاعبين مهمين في المنطقة، تركيا وإيران. ونحن نعتقد أن النخب في كثير من الدول العربية، تجد نفسها أقرب إلى تركيا منها إلى إيران، ولذلك شهدنا هذا التوجه الكبير خلال العقدين الماضين نحو تركيا بشكل كبير جداً، وخاصة بعد انكشاف موقف إيران السلبي من انتفاضات الربيع العربي، والذي كان غير منسجم مع مواقفها وشعاراتها الثورية التي تدعيها، مثل مقاومة الاستبداد ونصرة المظلومين.

أورسام: شهد العالم العربي موجات احتجاجية سلمية طالبت خلالها شعوب المنطقة بالتغيير والانتقال السلمي للسلطة، كان موقف تركيا مؤيد لهذه الثورات الإصلاحية، ما هي انعكاسات هذا الموقف؟

د. محجوب الزويري: الموقف التركي من موجات الربيع العربي، جاء متدرجاً ومنسجماً مع رؤيتها لمصالح تركيا ولمصالح الشعوب العربية في نفس الوقت. كان هنالك رغبة أو رؤية تركية أن الذي يحصل في العالم العربي هو حراك سلمي طبيعي ينشد التغيير وبالتالي ينبغي دعمه، هذا كان موقف الكثير من دول العالم في بداية الربيع العربي، ولكن تركيا أكثر من دفع أثمان ودخلت في خصومات سياسية مع دول أقليمية عربية وغير عربية بسبب موقفها الداعم للربيع العربي.

جزء من الموقف التركي تجاه الربيع العربي مرتبط ايضاً بصعود تيار الإسلام السياسي في بعض الدول، خاصة مصر، ومن المعتقد أنه كان عاملاً مهما في تطور العلاقة التركية-المصرية في ذلك الوقت، بالتأكيد التجربة التركية خلال الثلاثين سنة الماضية والقدرة على تطوير إقتصادها وتحسينه والظهور في مصاف الدول الصناعية الكبرى، جعلها مثالاً ينظر له في المجتمعات العربية، وبخاصة من النخب السياسية العربية التي تعمل كتيارات سياسية مستقلة عن الحكومات، طبعاً هذا أيضاً كان يثير ضغينة بعض الحكومات في نفس الوقت. أخذ الموقف التركي من الربيع العربي أبعاداً مختلفة، من الدعم المعنوي والسياسي، وحتى الدعم العسكري والحضور الأمني، كما شهدنا ذلك في شمال سوريا وفي ليبيا. وكان الموقف التركي من أية ثورة من ثورات الربيع العربي يتدرج طبقاً لمسارات تلك الثورة والقراءة التركية لمصالحها في المنطقة. الربيع العربي كان تحولاً مهماً وهو مستمر في آثاره، وأعتقد أن الكثير من الأطراف الدولية والإقليمية، ومنها تركيا،

أرادت أن لا يمر هذا التحول دون أن يكون لها موقف منه، موقف يذكره التاريخ بشكل كبير ودقيق، مهما اختلف تقييم الآخرين لذلك الموقف.

سياسة التحالفات التي بنتها تركيا خلال الفترة القصيرة الماضية، سواء في الحالة السورية أو الحالة الليبية، يمكن تفسيرها من خلال فهم المجال السياسي أو الجغرافيا السياسية التركية، تركيا يبدو أنها تنظر إلى منطقة البحر المتوسط بشكل عام كمنطقة مجال حيوي وإستراتيجي لها، وبالتالي ترى أنه لا يمكن أن تبقى بعيدة أو بمنأى عن التغيرات في هذه المنطقة، هذا ربما يوضح لنا الدور التركي في سوريا وليبيا، هذا الدور في اعتقادي يعكس رغبة تركيا بأن تظهر أولا أنها دولة فاعلة وقادرة على القيام بأدوارها السياسية. ثانياً، انها لا ترغب أن تكون مهمشة في خضم هذه التغيرات.

من جهة أخرى، يبدو أن المجتمع الدولي أصبح يتوقع وجود دور تركي في الأزمتين السورية والليبية ومقتنعاً بأهمية هذا الدور. هذه العوامل كلها قد تفسر لنا ما تفعله تركيا في سوريا وليبيا. هنالك قلق تركي من حالة عدم الإستقرار في تلك الدول لأنه هناك أعداد كبيرة من مواطني تلك الدول يذهبون للعيش في تركيا، وهذا يشكل ضغط على الاقتصاد التركي، وما يتعلق بمشاكل الهجرة واللجوء وإلى غير ذلك، وبالتالي أصبح من الصعب أن ابعاد الدور التركي أو تجاهله من أي حل سياسي للأزمات في سوريا وليبيا.

أورسام: كيف ترون التباين ما بين السياسات التركية والسياسات الايرانية تجاه المنطقة العربية؟

د. محجوب الزويري: عند الحديث عن علاقات تركيا وإيران بجيرانهم من العرب، نجد أن هناك تفاوت جوهري في مسار العلاقات، إيران دائماً ما كانت تستند في علاقاتها مع العالم العربي على أطراف من خارج إطار الدولة في البلدان العربية. وهو ما سبب كثير من الأزمات الدبلوماسية لإيران مع كثير من الدول العربية، هذه الأمثلة واضحة في لبنان وفي اليمن وفي العراق.. إلى غير ذلك. طبعا إيران عبر هذه الأطراف تمضي بالتواصل في علاقة مع الدولة، لكنها تبقي علاقتها مع تلك الأطراف هي الأساس. هذا الأمر طبعا يخلق كثير من القلق عند الدول العربية تجاه إيران؛ قلق أمني وسياسي، وبالتالي يخلق أزمات سياسية يمكن أن تشتعل في أي لحظة من اللحظات. ربما هذا السبب الأساس الذي يجعل العلاقات بين إيران والعالم العربي موتورة من فترة إلى أخرى حتى وإن شابه بعض الهدوء، هدوؤ مشوب بعدم رضا أو قلق، أو حتى عدم رضا كبير تجاه سياسات إيران من بعض الدول العربية.

بينما ترتكز تركيا في علاقاتها مع العالم العربي على مبدأ الارتباط مع الدول بغض النظر عن مدى انسجام تلك الدول مع السياسة الخارجية التركية، بعبارة أخرى تركيا استندت إلى فكرة بناء العلاقات مع جوارها العربي مع القبول بأن هنالك إختلاف مع بعض دول ذلك الجوار، حول تقييم المصالح التركية في المنطقة. هذا الأمر في حد ذاته جعل السياسة الخارجية التركية ذات دينامكية مختلفة عن السياسة الايرانية.

الفرق الجوهري بين سياسات تركيا وايران تجاه المنطقة العربية، هو أن تركيا تقدم نفسها للمنطقة بوصفها نموذجاً إقتصادياً وسياسياً، إيران لا تستطيع أن تفعل ذلك، فهي سياسياً دولة تعاني من شبه عزلة دولية وإقليمية، واقتصادياً هي تواجه عقوبات دولية جعلت إقتصادها على حافة الانهيار. في حين

تركيا لا تواجه كل هذه الأزمات، صحيح أن تركيا تعرضت مؤخراً لضغوطات اقتصادية بسبب عدم استقرار سعر الصرف لعملتها، لكن اقتصادها لا زال متماسكاً وقوياً، ولازال الانموذج السياسي التركي ينظر له بإعجاب في المنطقة. الجوار العربي بشكل عام ينظر إلى تركيا بمستوى أعلى من الثقة مقارنة مع إيران.

أورسام: تركيا هي البلد الوحيد في المنطقة عضواً فعالًا في حلف شمالي الأطلسي مما جعلها تصبح قوة صاعدة في المنطقة ذات سياسة خارجية نشطة لها محددات يحكمها متغير الواقعية والبراغماتية، كيف ترون هذه السياسة في ظل الحرب الأهلية السورية والتعاطي التركي مع ملف المهاجرين السوريين في تركيا؟ الذين يعرفون في تركيا باسم "الضيوف السوريين" وقد فاق عددهم الأربعة مليون سوري، بحسب موقع وكالة الطوارئ التركية، AFAD وتركيا توفر لهم الحماية والمساعدة وسبل العيش المناسب، بالتنسيق مع منظمات غير حكومية دولية، على سبيل المثال DRC الدانماركية وWHH الألمانية.

د. محجوب الزويري: الحضور التركي في حلف شمال الأطلسي لا شك أنه بالغ الأهمية، الناتو هو منصة دولية مهمة جداً في العالم، وتحتضن قوى عظمى لديها إمكانات عسكرية وأمنية عالية جداً، وبالتالي حضور دولة مسلمة في هذه المنظمة مهم جداً. لاشك أن أزمة اللجوء التي حصلت خلال الأزمة في سوريا، والتي حصلت من خلال العبور عبر تركيا، مثلت نوع من التحدي في العلاقة بين تركيا والأوروبيين بشكل عام، طبعا هذه الأزمة فتحت باب نقاش كبير جداً في ما إذا كانت تركيا تستطيع أن تمنع حركة اللجوء هذه أم لا، والغرب كان يريد أن يغسل يديه من أثار الصراع السوري، وكأن الأمر لا يعنيه، في حين أن هذه الدول لم تتردد أن تدعم بشار الأسد وتدعم سياسته، التي كانت في الغالب ذات طابع مستبد ولا تخدم مصالح الشعب السوري.

لذلك الحضور التركي والسياسة التركية فيما يتعلق باللاجئين وقبولها عدد كبير من اللاجئين السوريين وسماحها لهم بالبقاء في تركيا وممارسة حياتهم الاعتيادية ومنحهم كثير من الحقوق، هذه كانت لفتة إنسانية مهمة جداً من تركيا، في وقت تنصل الغرب فيه من أية مسؤولية أخلاقية عن هؤولاء اللاجئين السوريين، ربما ألمانيا حاولت أن تساع في هذه الأزمة الانسانية، وربما هي المثال الوحيد في أوروبا، وهي أستقبلت عدد كبير من اللاجئين السوريين، ولكن هذه الخطوة الالمانية كانت فيها حسابات اقتصادية أخرى فضلاً عن الاعتبارات الانسانية.

إيواء الملايين من اللاجئين السوريين في تركيا، أعتقد ستبقى في ذاكرة الشعوب العربية عبر التاريخ، ولا شك بأنه سيكون لها انطباعات مهمة في شكل العلاقة المستقبلية بين تركيا وجوارها السوري، بغض النظر عن طبيعة النظام السياسي الذي سيحكم في سوريا، أضف إلى ذلك أن هؤولاء الملايين سيصبحوا جزءاً من الثقافة والتقاليد التركية، والتي هي ليست بعيدة عن الثقافة العربية، فكلاهما ينبع من الثقافة الإسلامية.

جهود الإيواء التي تبذلها تركيا شكلت قصص مهمة في الإعلام وهي مستمرة في ذلك، طبعاً هي تأتي بالتنسيق مع منظمات مجتمع مدني والمنظمات الدولية، لكن العبئ الأساس تقوم به الحكومة التركية والدولة التركية بشكل رئيس، وهو جهد كبير إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الأعداد الكبيرة لهؤلاء اللاجئين وحجم الخدمات التى يحتاجونها من صحة وتعليم وسكن.. إلى غير ذلك.

أورسام: عــرفت الأشهــر الأخيرة سلسة نشاطات دبلوماسية باتجاه التـقـارب بين أنـقـرة والـقـاهـرة مـن جهة، وأبو ظبي والرياض من جهة ثانية، هل نشهد عودة أنقرة إلى سياسة صفر مشاكل في المنطقة ومع جيرانها، عودة فرضتها عوامل جيوسياسية واقتصادية؟

د. مـحـجـوب الـزويري: سياسة التقارب التى حدثت في عام 2021 بين كثير من دول المنطقة، سواء كانت بين الإمارات وتركيا، مصر وتركيا، الإمارات وقطر، قطر والسعودية.. إلى غير ذلك، أنـا في إعـتـقـادي أن السبب الأساس لـهـذه الـحـركـة الإنسيابية في تخفيف التوتر في المنطقة، هو حدوث جملة من التغيرات التي يجب أخذها بعين الاعتبار؛ أولا: تغير الإدارة الأمريكية ومجيئ إدارة ديمقراطية ذات طابع هادئ في السياسة الخارجية إلى حد ما، وبالتالي هذا العامل فرض على كل الأطراف في المنطقة قدراً كبيراً من إعادة التموضع والتفكير في المواقف بشكل مختلف. الأمر الثاني: يتعلق بالتداعيات الاقتصادية التى تركتها جائحة كورونا COVID-19 والتي أيضا أرهقت كثير من الدول وبشكل واضح. الأمـر الـثـالث: في إعـتـقـادي يـتـعـلـق بـمـنـطـقـة الشرق الأوسط تحديداً وطبيعة الأزمات فيها، فهي تبدو وكأنها غير قابلة للحل، والدول المعنية والمتفاعلة مع هذه الأزمات لم تحقق أي شيئ من انخراطها بتلك الأزمات، على سبيل المثال الإمارات لم تـحـقـق شيئاً في الـيـمـن، نـعـم هي انسحـبت في عـام 2019، لـكـنـها لـم تحقق شيئا في اليمن سوى انها تركت هـنـاك مـلـيشيات مسلحة، وهذه الميليشيات عملياً هي غير فاعلة إلا في مشروع إفشال الدولة.

كذلك السعودية لا زالت في وضع لا تحسد عليه في اليمن، فالميليشيات الحوثية تستهدف المنشأت النفطية والأراضي السعودية باستمرار، ثم أيضا الإمـــــارات أصبـــــحت الآن مستهدفة. أيضا هذا الأمر ينطبق على إيران، إيران مرهقة أقتصادياً بسبب العقوبات وبسبب الضغوط الأمريكية، وبالتالي هناك جملة من التغيرات المتفاعلة في المنطقة تفرض على كل اللاعبين بلا إستثناء على أخذ ما أسميه "أستراحـة مـا بين شوطي المبـاراة". محاولة الاستراحة، محاولة آخذ بعض النفس، حتى يستطيعوا التعامل مع المواقف والأزمات. طبعا هـنـاك حـالـة تـرقب لمواقف الإدارة الأمريكية التي تبدو بطيئة ومترددة في تعاملها مع ملفات المنطقة، أيضا هناك أطراف تكاد تكون غير فاعلة لـكـنـها مـوجـودة كـالـطرف الروسي والصيني، وبالتالي تعقد هذه المسائل بجملتها دفع دول المنطقة للبحث عن مخرج، والمخرج كان هو ضرورة أن يجلسوا ويتحدثوا مع بعض، وأن يـنـفـتـحـوا على بعض، ربما بعض الأطراف في المنطقة تلجأ للحوار والتفاهم مع خصومها لكسب وقت إضافي في خصومتها أكثر منه كخيار استراتيجي لحل الأزمة، إن كان إستراتجية سيكون الخيار الأفضل.

ولكن ينبغي النظر إلى المدى الممكن لاستمرار هذه الحوارات واللقاءات والتفاهمات وتبادل الزيارات، وإلى ما يمكن أن تحققه هذه الخطوات من تقارب بين دول المنطقة، والتوصل إلى الاتـفـاق على مسار سياسي معين ينعكس على الأرض في التوصل إلى حلول للأزمات المفتوحة في المنطقة، سواء كانت في اليمن، في ليبيا، في سوريا، في العراق.. إلى غير ذلك من هذه الملفات. لا ننسى قضية أساسية وهي انتشار نماذج الدولة الفاشلة في المنطقة، في سوريا وليبيا واليمن والصومال والسلطة الفلسطينية، والعراق إلى حد ما، وهذه الظاهرة تتوسع، وللأسف توسعها يفرض أعـبـاء كـبيرة على الـدول الأخـرى الـقـادرة أقـتـصاديـاً، أو الـقـادرة سياسياً، لأن الدول الفاشلة تكون بيئة مناسبة للتطرف، أو انها تسبب أسباب عدم إستقرار إقليمي بشكل عام.

كذلك أعتقد أن هنالك بعد آخر لتقارب دول المنطقة مؤخراً مع تركيا، وهو محاولة تلك الدول التخفيف من الأعباء السياسية والإقتصادية التي تواجهها، من خلال الانفتاح على الأطراف الاقليمية الفاعلة، هنالك أطراف إقليمية فاعلة يصعب تجاهلها مهما كانت الخصومة معها، مثل تركيا. بالمحصلة هي تركيا بموقعها السياسي، بثقلها الجغرافي، ثقلها السكاني، شبكة العلاقات التي تمتلكها تركيا، مع الولايات المتحدة، مع الصين، مع روسيا. فنحن نلاحظ رغم جدل الدول الأوروبية حول طبيعة العلاقة مع تركيا، إلا أن هنالك تسليم أوروبي بالأهمية الاقليمية لتركيا، لذلك نجد دول المنطقة التي حاولت أن تتجاهل تركيا بالأمس هي اليوم ترغب أن تتقارب معها. ■

عبد النور تومي: باحث وأكاديمي من الجزائر، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية، خبير في قسم دراسات شمال افريقيا في مركز أورسام.